قضية
المكي والمدني
من القرآن الكريم
وما أثير حولهما من شبهات
والرد عليها

أ.د/ البدري عاطف أبو حربه
عميد الكلية

تمهيد

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد- الذى أنزل الله عليه الكتاب، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب. أنزل عليه كتابا قيما لا عوج فيه. يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم.

وبعد،،

فالقرآن الكريم هو كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. تكفل الله برعايته، وحفظه من التحريف والتبديل مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

فهو الكتاب الأوحد الذى سلم من التحريف والتبديل والذى لم تصل إليه أيدي العابثين. هذا وقد اهتم المسلمون بكتاب ربهم منذ نزوله إلى يومنا هذا وسيستمر اهتمامهم به تحقيقا لوعد الله تعالى بحفظه إلى أن يرث الأرض ومن عليها، فهو أفضل ما يشتغل به الباحثون، وأحق ما يتسابق فيه المتسابقون.

وصدق الرسول الكريم حيث يقول: (فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل – من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو الصراط

---

(١) الآية : ٩ من سورة الحجر.

المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه.[٢]

ومن هنا، فقد رأينا علماء المسلمين في كل عصر ومصر منذ نزول القرآن الكريم ،وإلى يومنا هذا، صنفوا مصنفات قيمة، خدمة لكتاب الله- تبارك وتعالى- وهذه المصنفات تنوعت وتشكلت، وكلها تخدم كتاب الله تعالى، من ناحية علم نزول القرآن الكريم، وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، ومكيه ومدنيه- إلى غير ذلك، ونتيجة لهذا كله فما زلنا فى حاجة ماسة إلى كل جهد يبذل للكشف عن علومه وحقائقه، والدفاع عن ساحته بالرد على شبه الملاحدة والمستشرقين، ومن سار في ركبهم. لذا قد انشرح صدري للكتابة فى مكيه ومدنيه ورد بعض الشبه الواردة عليهما.

اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور أبصارنا وبصائرنا، وجلاء همنا وحزننا، وانفعنا اللهم بكتابك الكريم. إنك نعم المولى ونعم النصير.

وقد آثرت الكتابة فى المكى والمدنى دون ما سواهما لأن مبحث المكي والمدني من المباحث الهامة إذ لابد لكل من تعرض لتفسير كتاب الله- تعالى- أن يكون ملما بمعرفة المكى والمدني، فمن الشروط الأساسية التى لابد أن تتوافر في المفسر لكتاب الله، أن يكون المفسر ملما بالمكي والمدني.

ولأهمية هذا المبحث أفرده بالتأليف جماعة كما ذكر الجلال

---

(٢) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي جـ ٨ صـ ٢٦٩ باب ما جاء في فضل القرآن.

فى[٣] (الاتقان) أفرده بالتصنيف جماعة منهم: مكى والعز الدريني. ومن فوائد معرفة ذلك العلم بالمتأخر فيكون ناسخاً أو مخصصا، على رأى من يرى تأخير المخصص- أهـ صاحب الاتقان وقال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتاب التنبيه على فضل علوم القرآن:

(مـن أشرف علوم القرآن: علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكـة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدنى، وما نزل بالمدينة وحكمه مكى، وما نزل بمكة فى أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل المدينة. وما يشبه نزول المكي فى المدنى، وما يشبه نزول المدني في المكي وما نـزل بالجحفـة، ومـا نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلا وما نزل نهارا، وما نزل مشيعا وما نزل مفردا، والآيـات المدنيات فى السور المكية، والآيات المكية فى السور المدنية، ومـا حمل من المدينة إلى مكة وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة، ومـا نزل مجملا، وما نزل مفسرا، وما اختلفوا فيه، فقال بعضهم: مدني وبعضهم مكى.

فهـذه خمسة وعشرون وجها من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم فى كتاب الله تعالى)أهـ.[٤]

ويجدر بنا في هذا المقام أن نقول، ليس المقصود في بحثنا هذا أن نستقصـى بالتفصـيل في آيات القرآن الكريم وسوره، لنبين ما كان مـنها مكيا، وما كان مدنيا إذ هى محاولة كبيرة أفردت بالتأليف، وإنما

---

(٣) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطي جـ ١ صـ ٨ ط بيروت.
(٤) البرهان فى علوم القرآن للزركشي جـ ١ صـ ١٩٢ ، والإتقان للسيوطي.

نقتصر هنا على القواعد العامة، فنتكلم في موضوع المكي والمدني على الآتي:

أولاً : الإصطلاحات في المكي والمدني.

ثانياً : فائدة العلم بالمكي والمدني.

ثالثاً : الطرق الموصلة إليه.

رابعاً : الضوابط التي يعرف بها وخصائصه.

خامساً : بعض الشبه التي أثيرت من بعض المستشرقين ومن سار على نهجهم والرد عليها.

سادساً : السور المكية والمدنية.

أولا : الإصطلاحات في المكي والمدني:

للعلماء في معنى المكى والمدنى ثلاثة اصطلاحات:

الأول: أن المكى ما نزل بمكة، ولو بعد الهجرة، والمدنى ما نزل بالمدينة، ويدخل فى مكة وضواحيها كمنى وعرفات والحديبية، ويدخل فى المدينة وضواحيها كبدر وأحد.

وقد لوحظ فى هذا الاصطلاح أنه روعي فيه المكان، ولكن يرد عليه أنه غير حاصر فلم يدخل فيه ما نزل بالأسفار كقوله سبحانه فى سورة التوبة: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وسَفَراً قَاصِداً لَّاتَّبَعُوكَ ولَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾[٥] فهذه الآية نزلت فى تبوك وأيضاً: آية التيمم التى فى سورة النساء، فإنها نزلت على النبي -ﷺ- في بعض أسفاره.

الثاني: أن المكى ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني، ما وقع خطابا لأهل المدينة، وعليه يحمل قول من قال: إن ما صدر في القرآن بلفظ (يا أيها الناس) فهو مكى، وما صدر فيه بلفظ (يا أيها الذين آمنوا) فهو مدني، لأن الكفر كان غالبا على أهل مكة، فخوطبوا: (يا أيها الناس)، وإن كان غيرهم داخلا فيهم، ولأن الإيمان كان غالبا على أهل المدينة، فخوطبوا: (يا أيها الذين آمنوا)، وإن كان غيرهم داخلا فيهم

---

(٥) الآية : ٤٣ التوبة.

أيضاً. وألحق بعضهم صيغة (يا بنى آدم) بصيغة (يا أيها الناس). أخرج أبو عبيد في فضائل القرآن عن ميمون بن مهران قال: (ما كان فى القرآن: (يا أيها الناس) أو (يا بني آدم) فإنه مكى وما كان (يا أيها الذين آمنوا) فإنه مدني.

وهذا التقسيم لوحظ فيه المخاطبون، لكن يرد عليه أمران: أحدهما ما ورد على سابقه أنه غير ضابط ولا حاصر، فإن في القرآن ما نزل غير مصدر بأحدهما نحو قوله سبحانه فى فاتحة سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ ونحو قوله سبحانه في فاتحة سورة المنافقين: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾...إلخ.

ثانيهما: أن هذا التقسيم غير مطرد في جميع موارد الصيغتين المذكورتين، بل أن هناك آيات مدنية صدرت بصيغة (يا أيها الناس) وهناك آيات مكية صدرت بصيغة (يا أيها الذين آمنوا) مثال الأولى سورة النساء فإنه مدنية، وأولها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾، وكذلك سورة البقرة مدنية وفيها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، ومثال الثانية سورة الحج فإنها مكية مع أن فى أواخرها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾...الخ.

الاصطلاح الثالث: وهو المشهور: أن المكى ما نزل قبل هجرته (ﷺ) إلى المدينة، وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني: ما نزل بعد هذه الهجرة وإن كان نزوله بمكة، وهذا التقسيم كما ترى لوحظ فيه زمن

الـنزول، وهو تقسيم صحيح سليم، لأنه ضابط جامع ومطرد لا يختلف، بخلاف سابقيه، ولذلك اعتمده العلماء واشتهر بينهم.

وعلـيه فآيـة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ مدنية، مع أنها نزلت يوم الجمعة بمعـرفة فـي حجـة الـوداع، وكذلك آية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ فإنها مدنية، مع أنها نزلت بمكة فى جوف الكعبة عام الفتح الأعظم.

وقل مثل ذلك فيما نزل بأسفاره -عليه السلام- (٦) أهـ

ومن هنا ننتهى إلى القول بأن الرأى الثالث والأخير، هو الراجح وهو الصحيح لحصره وضبطه واطراده.

(٦) راجع : مناهل العرفان للزرقاني جـ ١ صـ ١٩٣ ـ ١٩٥ باختصار ، ط عيسى الحلبي.

ثانيا : فائدة العلم بالمكي والمدني:

هناك فوائد عظيمة لمعرفة المكي والمدني ذكرها العلماء، ونوجزها في الآتي:

١- تمييز الناسخ من المنسوخ فيما إذا وردت آيتان متعارضتان، إحداهما مكية والأخرى مدنية، فإننا نحكم في هذه الحالة بأن المدني منها ناسخ للمكي، نظرا لتأخر المدني عن المكي.

٢- ومن فوائده أيضاً: الاستعانة به في تفسير كتاب الله تعالى، فهو سلاح من الأسلحة التي من اللازم أن يتسلح بها دارس القرآن الكريم، فإذا عرف الدارس مكان وزمان نزول السورة أو الآية ساعده ذلك على فهم مراد الله والسير في التفسير الصحيح.

٣- ومن فوائده: معرفة تاريخ التشريع والوقوف على الحكم الجليلة وراء التدرج في تشريع أحكام الله، وذلك بتقديم الأصول على الفروع، والثقة أيضا بهذا القرآن، وبوصوله إلينا سالما من التغيير والتحريف، ويدل على ذلك اهتمام المسلمين به كل هذا الاهتمام حتى ليعرفوا ويتناقلوا ما نزل منه قبل الهجرة وما نزل بعدها، وما نزل بالحضر وما نزل بالسفر، وما نزل بالنهار وما نزل بالليل... فلا يعقل بعد هذا أن يسكتوا ويتركوا أحدا يمسه ويعبث به، وهم المتحمسون

لحراســته وحمايــته، والإحاطة بكل ما يتصل به تحقيقا بأن هذا الكتاب الذى أنزله الله على محمد (ﷺ) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ثالثا : الطرق الموصلة إلى المكي والمدني:

لا طـريق إلـى معرفة المكى والمدني سوى النقل الصحيح عن الصـحابة والتابعيـن مـن بعدهـم. فالصحابة هم الذين شاهدوا منازل الوحـى، فأحـاطوا علمـا بالأزمنة والأمكنة التى نزل بها القرآن، فهم المـرجع فـي ذلك دون غيرهم، ولم يرد عن النبى (ﷺ) فى ذلك قول، لأنـه لـم يأمر به، ولك يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة، وإن وجب فـي بعضـه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ، فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول)[٧]

وإذا كـان الطريق الأساسي لمعرفة المكي والمدني هو النقل من صـحابة رسـول الله... فبجانب النقل عنهم هناك منهج قياسي اجتهادي يستند إلى خصائص المكى وخصائص المدني، فمثلا إذا ورد في السورة المكـية آية تحمل طابع التنزيل المدني، قالوا: إنها مدنية، وإذا ورد فى السورة المدنية آية تحمل طابع التنزيل المكى قالوا: إنها مكية، وإذا وجد فى السورة خصائص المكي قالوا: إنها مكية، وإذا وجدوا فيها خصائص المدنـي قـالوا: إنها مدنية، وهذا المنهج كما أشرنا يقوم على الاجتهاد والقـياس. والأولى أن يعتمد على المأثور والمنقول عن أصحاب رسول الله (ﷺ).

---

(٧) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ ١ صـ ٩ بيروت.

هـذا وقد اشتهر بعض الصحابة- رضوان الله عليهم أجمعين- بمعـرفة المكى والمدنى. فقد أخرج البخاري[٨] بسنده عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنـه قـال: (والله الـذى لا إله غيره، ما نزلت آية من كتاب الله تعـالى- إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت. ولو أعلم أحدا أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه).

(٨) فتح الباري بشرح البخاري جـ ١٩ صـ ٦٠ ط مكتبة الكليات الأزهرية ـ كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبي -ﷺ-.

رابعا : الضوابط التي يعرف بها المكي والمدني وخواصه

قد عرفنا فيما مضى أن مرد العلم بالمكي مصدره الأول هو السماع عن طريق الصحابة والتابعين الذين نقلوا عنهم، بيد أن هناك علامات وضوابط يعرف بها المكي والمدني بنيت على التتبع والاستقراء المبني على الغالب، فلكل من المكي والمدني ضوابط وخواص انفرد بها عن الآخر وهي أمور تعرف بعد التحقيق، وبعد الفكر والنظر، وهذه الضوابط توجد في بعض السور دون البعض الآخر.

أولا . الضوابط التي يعرف بها المكي والمدني

(أ) ضوابط المكي: للقسم المكي ضوابط يعرف بها وتميزه عن المدني وتتلخص في الآتي:

١ - كل سورة فيها لفظ (كلا) فهي مكية، وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن ثلاثا وثلاثين مرة، في خمس عشرة سورة كلها في النصف الأخير من القرآن، قال الدريني- رحمه الله-:

وما نزلت كلا بيثرب فاعلمن ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى

قال العماني: (وحكمة ذلك: أن نصف القرآن الأخير نزل أكثره بمكة، وأكثرها جبابرة، فتكررت (كلا) على وجه التهديد والتعنيف لهم والإنكار عليهم بخلاف النصف الأول وما نزل منه

فى اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلتهم وضعفهم.[٩]

٢- كل سورة فيها سجدة فهى مكية لا مدنية سوى الحج عند من يقول إنها مدنية.

٣- كل سورة فى أولها حرف التهجي فهي مكية سوى سورة البقرة وآل عمران، فإنهما مدنيتان بالإجماع، وفى الرعد خلاف.

٤- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة فهي مكية سوى البقرة.

٥- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة أيضا.

٦- كل سورة فيها (يا أيها الناس) وليس فيها (يا أيها الذين آمنوا) فهي مكية، لكن ورد على هذا ما تقدم من سورة الحج- أى أنها مكية- وفي أواخرها: يا أيها الذين آمنوا...

٧- كل سورة من المفصل فهي مكية، أخرج الطبراني عن ابن مسعود قال: (ونزل المفصل بمكة فمكثنا حججا نقرؤه ولا ينزل غيره) [١٠]، لكن يرد على هذا أن بعض سور المفصل مدني، نزل بعد الهجرة اتفاقا، كسورة النصر، فإنها كانت من أواخر ما نزل بعد الهجرة بل قيل أنها آخر ما نزل. فالأولى أن يحمل كلام ابن مسعود على الكثرة الغالبة من سور المفصل، لا على جميع سور المفصل.

---

(٩) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ ١ صـ ١٧ ، ١٨ بيروت.

(١٠) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ ١ صـ ١٨ ، ومناهل العرفان للزرقاني جـ ١ صـ ١٩٧ ط عيسى الحلبي.

هذه هى خلاصة لضوابط القسم المكي للقرآن الكريم.

(ب) أما عن ضوابط القسم المدني: فهى تتلخص في الآتي:

١- كل سورة فيها الحدود والفرائض فهي مدنية.

٢- كل سورة فيها إذن بالجهاد، وبيان لأحكام الجهاد فهي مدنية.

٣- كل سورة فيها ذكر المنافقين فهى مدنية ما عدا سورة العنكبوت.

والتحقيق أن سورة العنكبوت مكية ما عدا الآيات الاحدى عشرة الأولى منها، فإنها مدنية، وهى التى ذكر فيها المنافقون)[١١]

ثانياً : خواص القسم المكي والمدني

توجد فروق أخرى بين المكي والمدني، غير ما قدمناه فى ضوابطها، وهذه الفروق فيها دقة من تلك، لتعلقها في مجموعها بأمور معنوية وبلاغية، ثم إن أعداء الإسلام قد صاغوا عن طريق بعضها شبهات سددوا سهامها إلى القرآن الكريم.

١- خواص القسم المكي:

من خواص القسم المكي أنه قد كثر فيه ما يأتي:

١- التركيز على أصول الدين كالإيمان بالله واليوم الآخر وما فيه من البعث والجزاء والإيمان برسل الله وما أنزل عليهم،

---

(١١) مناهل العرفان للزرقاني جـ ١ صـ ١٩٨ ط عيسى الحلبي.

وهـذه الأمـور هى التى جاء التركيز عليها غالبا فى السور المكـية وهـذا أمـر طبيعى، إذ أنه لابد من إصلاح الجوهر والأمور الاعتقادية.

ولقـد كان العرب أهل وثنية وإشراك، فركز القرآن الكـريم على هدم العقائد الفاسدة، ودخل عليهم من كل باب، وأتـاهم بكـل دليل، وحاكمهم إلى الحس، وضرب لهم أبلغ الأمثال حتى انتهى بهم إلى أن تلك الآلهة المزيفة لا تقدر أن تخلـق مجتمعة أقل نوع من الذباب، بل لا تستطيع أن تدفع عـن نفسها شر عادية الذباب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾(١٢).

وناقشـهم كذلك في عقائدهم الضالة التى نجمت عن تلك الوثنية من جحود الالهيات والنبوات وإنكار البعث.

٢- أنه فتح عيونهم على ما في أنفسهم من شواهد الحق، وعلى مـا في الكون من أعلام الرشد، ونوع لهم فى الأدلة، وتفنن فـى الأساليب، ثم قادهم من وراء ذلك قيادة راشدة حكيمة، إلى الاعتراف بتوحيد الله فى ألوهيته وربوبيته.

٣- أنـه تحدث عن عادتهم القبيحة، كالقتل وسفك الدماء، ووأد البنات واستباحة الأعراض، وأكل مال اليتيم، فلفت أنظارهم إلـى ما في ذلك من أخطار، وما زال بهم حتى طهرهم منها،

---

(١٢) الآية : ٧٣ سورة الحج

ونجح فى إبعادهم عنها.

٤- أنـــه شـــرح لهـــم أصول الأخلاق، وحقوق الاجتماع، شرحا عجيبا كره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وفوضى الجهل، وجفاء الطبع، وقذارة القلب.. وحبب إليهم الإيمان والطاعة، والنظام والعلم، والمحبة والرحمة والإخلاص...

٥- أنـــه قـــص عليهم من أنباء الرسل وأممهم السابقة، ما فيه أبلغ المواعظ وأنفع العبر، من تقرير سننه تعالى الكونية فى إهلاك أهل الفكر والطغيان، وانتصار أهل الإيمان والإحسان، مهمـــا طالـــت الأيام، وامتد الزمان، ماداموا قائمين بنصرة الحق وتأييد الإيمان.

٦- أنـــه سلك مع أهل مكة سبيل الإيجاز في خطابه، حتى جاءت الســـور المكـــية قصيرة الآيات، صغيرة السور، لأنهم كانوا أهـــل فصـــاحة ولســـن، صـــناعتهم الكلام، وهمتهم البيان، فيناسبهم الإيجاز والإقلال دون الإسهاب والإطناب.

كمـــا أن قـــانون الحكمة العالية، قضى بأن يسلك سبيل الـــتدرج والارتقـــاء فى تربية الأفراد، وأن يقدم الأهم على المهـــم، ولا ريـــب أن العقـــائد والأخلاق والعادات، أهم من ضـــروب العـــبادات ودقائق المعاملات، لأن الأولى كالأصول بالنســـبة للثانية، لذلك يكثر في القسم المكى التحدث عنها، والعناية بها.

ب- أما خواص القسم المدني فنذكر منها أنه قد كثر فيه ما يأتي:

١- التحدث عن دقائق التشريع، وتفاصيل الأحكام المتعلقة بالعلاقات الدولية والحرية الاجتماعية.. وسائر ضروب العبادات والمعاملات.

٢- دعوة أهل الكتاب من يهود ونصارى إلى الإسلام، ومناقشتهم في عقائدهم الباطلة وبيان جناياتهم على الحق، وتحريفهم لكتب الله، ومحاكمتهم إلى العقل والتاريخ.

٣- سلوك الإطناب والتطويل في آياته وسوره. وذلك لأن أهل المدينة لم يكونوا يضاهون أهل مكة في الذكاء والألمعية، وطول الباع في الفصاحة والبيان فيناسبهم الشرح والإيضاح، وذلك يستتبع كثيرا من البسط والإسهاب، لأن دستور البلاغة لا يقوم إلا على رعاية مقتضيات الأحوال، وخطاب الأغبياء بغير ما يخاطب به الأذكياء.. ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[١٣].

هذه خلاصة لخواص القسم المكي والمدني للقرآن الكريم، وفيها وضح جليا أن القرآن الكريم كان منصفا كل الإنصاف في مخاطبة كل قوم حسب ما يفهمون وراعى في ذلك سبيل التدرج في الحكم والخطاب كيف لا وقد أنزله من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو العليم الخبير بشئون عباده ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

---

(١٣) مناهل العرفان للزرقاني جـ ١ صـ ٢٠٢ وما بعدها للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني.

ومـــع كل هذا فقد حاول أعداء الله ورسله، أن يحاربوا دين الله بكـــل ما لديهم من قوة مادية، ولكنهم فشلوا فشلا ذريعاً، وأعز الله جنده ونصر رسله.

لقد فكروا وفكروا فهداهم فكرهم الخبيث إلى التشكيك في القرآن وقداســـته، لكـــن علمـــاء الإســـلام- فى كل زمان ومكان- وقفوا لهذه الأباطيل، ففندوها وتعقبوها بالرد والإنكار وردوها، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

خامسا : إليك بعض الشبهات التي أثيرت حول القرآن الكريم

الشبهة الأولى :

قالوا إنّ القسم المكى مقتضب المعاني، آياته وسوره قصيرة، بخلاف القسم المدني، فهو طويل السور، طويل الآيات آياته تسير بإنسجام وتسلسل فى الأفكار، والسبب فى ذلك- على حد زعمهم- أن أهل مكة قوم أميون جهلة، ثقافتهم ضحلة، لا يقدرون على إنشاء الكلام، أما أهل المدينة فهم قوم متحضرون يربطهم الجوار بأهل الكتاب، ومتصلون بهم، ويأخذون منهم الثقافة والحضارة، وهم بهذا يريدون القول بنظرتهم الحاقدة أن القرآن الكريم قد تأثر بالبيئة، وإذا كان كذلك فهو من تأليف محمد -ﷺ- لا من عند الله تعالى.

والرد على هذه الشبهة يتلخص في الآتى:

١- أن القول بأن القسم المكى مقتضب المعانى بخلاف القسم المدني يؤكد أن هؤلاء القوم يتخبطون فى ظلمات الجهل والغى وعمى البصيرة، فهو قول من لم يدرس اللغة العربية وقول من لم يتمعن فى القرآن الكريم، فإننا نجد ولاشك أن القرآن الكريم كعقد منظم، تناسقت حباته، معانيه متآلفة وأفكاره منسجمة، وكل آية فيه مرتبطة بسابقها ولاحقها- حتى أن بعض العلماء- وهم على حق- ذهبوا إلى أن من وجوه إعجاز القرآن الكريم: طريقة تأليفه، فقد نزل القرآن مفرقا منجما على أكثر من

عشرين عاما على حسب الوقائع والدواعى المتجددة.

وكـــان الرسول -ﷺ- كلما نزل عليه نجم من تلك النجوم، قـــال: ضموه فى مكان كذا من سورة كذا، فلما تم القرآن نزولا إذا بـــه ينتظم ويتآخى ويأتلف حتى أن الناظر فيه لا يستطيع أن يجد فرقا بين السور التى نزلت جملة والسور التى نزلت منجمة من حيث إحكام الربط فى كل منهما)[١٤].

وتأكـــيدا لهـــذا الأمـــر فقد قام الباحثون والعلماء فى القديم والحديث بالخوض فى أوجه الصلة والربط والمناسبات بين الآى والســـور، فخـــرجوا لـــنا بالعجب العجاب كما ألف بعضهم كتبا مســـتقلة فـــى هـــذا المضمار مثل: نظم الدرر فى تناسب الآيات والســـور للبقاعـــي، وكـــتاب: تناســـق الدرر فى تناسب السور للسيوطي، وغيرهما كثير.

٢- أن الكـــلام وقصـــره ليس عيبا في حد ذاته، فكما هو معلوم أن الإيجاز والإطناب يخضع لمقتضى الحال وهو من أسرار البلاغة العربية والمعروف لدى كل منصف عاقل أن أهل مكة كانوا أهل فصـــاحة وبلاغـــة، فاقتضـــى الحال أن يكون القسم المكى فيه إيجـــاز، لأن هـــذا هو المناسب لهم، أما أهل المدينة فلم يكونوا على تلك الدرجة من البلاغة والفصاحة فاقتضى الحال أن يكون الإطناب.

---

(١٤) مناهل العرفان جـ ١ صـ ٢٣١ الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني.

٣- أن القـول بـأن القسم المكي آياته وسوره قصيرة قول مردود فهذه سورة (الأنعام) من السبع الطوال، نزلت جملة واحدة على رسـول الله -ﷺ- وهـي مكـية، فكـيف يقال بقصر الآيات والسور في العهد المكي.

٤- القـرآن الكريم تحدى العرب قاطبة في السور المكية وفي بعض السـور المدنية أيضا، وكان التحدى بالقرآن كله، وكان التحدي فـي العهـد المدني بسورة مهما كثرت، فلو أن أهل المدينة كما زعمـوا أقدر على إنشاء العبارات الطويلة من أهل مكة، لكانوا أقـدر علـى معارضته والإتيان ولو بأقصر سورة منه: ولكنهم عجـزوا كما عجز غيرهم، بل إن ربنا تبارك وتعالى أثبت عجز الإنـس والجـن عن معارضة القرآن والإتيان بمثله ولو كانوا مجتمعيـن متعاونيـن متظاهريـن، فقـال جل شأنه: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ والْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾(١٥).

الشبهة الثانية:

قـالوا أن القـرآن الكـريم فى العهد المكى تفرد بأسلوب العنف والـتهديد والسباب والقسوة بخلاف القسم المدني فتبدو فيه روح الثقافة والحضارة.

فالقسم المكي فيه: (تبت يدا أبي لهب وتب) السورة، (والعصر

---

(١٥) الآية : ٨٨ سورة الإسراء.

إن الإنسان لفي خسر) (فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد)[16] (كلا لو تعلمون علم اليقين * لترون الجحيم)[17].

ونجيب على هذه الافتراءات والمزاعم فنقول:

إذا نظرنا إلى القسم المكي وتدبرناه نجد فيه أيضا: سموا ورفعة ووقارا، والقسوة والوعيد والتحذير والتنذير، كل ذلك ينصب أساساً على هؤلاء العتاة الجبارين الذين وقفوا في وجه الدعوة الإسلامية يحاربون الله ورسوله، ولا عجب أن يقف الإسلام ضد هؤلاء، وأن يكون الوعيد من الله سبحانه لهم ولمن سار في ركبهم ومن ناحية أخرى فاللين والتيسير للصالحين الأخيار، والمتقين الأبرار، (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون)[18].

وهنا نقف مع هؤلاء وبعض الآيات التى ضلوا عن فهمها، وزينت لهم سيئات أعمالهم أن بها الدليل على مدعاهم فقالوا ما قالوا: فنقول لهم لو نظرتم نظرة إنصاف لما وقعتم فى هذه الأقوال المفتراة على القرآن الكريم فمثلا: لو أنهم علموا سبب النزول لقول الله -ﷻ- ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ لما أثاروا هذه الشبهة من أساسها: (أخرج الشيخان والترمذي عن ابن عباس قال [19] لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[20].

---

(١٦) الآيتان : ١٣ ، ١٤ الفجر.
(١٧) الآيتان : ٥ ، ٦ التكاثر.
(١٨) الآية : ١٨ السجدة.
(١٩) صحيح البخارى جـ ٦ صـ ٢٢١ كتاب التفسير (تبت يدا أبى لهب وتب).
(٢٠) الآية : ٢١٤ الشعراء.

صعد النبي -ﷺ- على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرأيتم لو خبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك، ألهذا جمعتنا فنزلت.

وأما سورة (العصر) فليس فيها كما يتراءى لذى العقول الرشيدة سباب، ولا تشم فيها رائحة عنف ولا شدة كما يدعي هؤلاء الظالمون المفترون، أن هذه السورة جعلت الناس فريقين: فريقا فاز ونجا من الخسران والضلال، وفريقا غارقا في الخسران ومصيره الهلاك والعذاب، وهم أولئك الذين خرجوا عن أوامر الله.

وللإمام الشيخ محمد عبده كلام نفيس فى تفسير هذه السورة الكريمة وهى سورة (والعصر) يقول- رحمه الله-: (ثم نراها لم تدع شيئا إلا أحرزته فى عبارتها الموجزة، حتى قال الإمام الشافعي- رحمه الله-: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم، ولو لم ينزل الله من القرآن سورة سواها لكفت الناس، ولجلالة ما جمعت، روى أنه كان الرجلان من أصحاب رسول الله -ﷺ- إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة (العصر) ثم يسلم أحدهما على الآخر، ذلك ليذكر كل منهما صاحبه بما يجب أن يكون عليه، فإذا رأى منه شيئا ينبغي أن ينبه

إليه فعليه أن يذكره له)أ.هـ[٢١]

وأما قوله سبحانه ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[٢٢] فهى آية كريمة ليس فيها كما هو الحال فى غيرها السباب والعنف، كل ما في هذه الآية الكريمة إخبار عن الحق تبارك وتعالى أن عاداً وثمود وفرعون وغيرهم، لما طغوا فى البلاد وتمادى كل منهم فى غيه، وأكثر الفساد في الأرض، أحل الله عليهم عقابه، جزاء لهم على ظلمهم وإفسادهم.

فالمراد بصب السوط: إنزال العقوبة الشديدة بهم، وهى نتيجة حتمية لكل من طغى وتكبر.

وأما سورة (ألهاكم التكاثر) والتى فيها: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[٢٣] فكل ما تشير إليه، أن المخاطبين قد انشغلوا بمتع الدنيا، وألهتهم الأموال والأولاد عن الله، وظلوا على هذه الحال حتى فنيت أعمارهم، وهم صائرون لا محالة إلى يوم يسألون فيه أمام الله عن هذا النعيم ويجازون عن أعمالهم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

الشبهة الثالثة :

قالوا: إن القسم المكى خلا من التشريعات والأحكام التفصيلية بخلاف القسم المدني، فقد انفرد بالإسهاب وبيان التشريعات الإسلامية،

---

(٢١) تفسير جزء عم صـ ١٥٤ للمرحوم الشيخ محمد عبده.
(٢٢) الآية : ١٣ الفجر.
(٢٣) الآيتان : ٥ ، ٦ التكاثر.

كالمواريث والزواج والطلاق.. وذلك يعود (بزعمهم) إلى أن محمدا- عليه الصلاة والسلام- قد تأثر بالتوراة والبيئة اليهودية التى كانت تساكن المدينة، وغرضهم بهذا أن القرآن من وضع محمد.

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

أولاً: إذا قرأنا آيات الله المكية وتدبرنا ما جاء فيها من علوم ومعارف وأحكام وجدنا فيها الكثير والكثير من التشريع والأحكام.

ونستطيع أن نقول أنها أتت بما لم يأت في أى كتاب سماوي على وجه الإطلاق. لقد تعرض القسم المكي للتشريع والأحكام، وقد يكون ذلك في بعض الأحيان بطريقة إجمالية لحكمة جليلة ألا وهى التدرج فى التشريع. ونقرأ قول الله تعالى فى سورة الأنعام المكية: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢٤].

فهذه الآيات جمعت الوصايا العشر، ولعل السر فى عدم الدخول فى تفاصيل الأحكام التشريعية في العهد المكي: أن أهل مكة كانوا ينكرون أصول الدّين في الشرائع، فكان من الطبيعي أن يكون التركيز على الأصول أولا وعلى تصحيحها وإذا صلح حال الإنسان عقديا كان من الميسور بعد ذلك أن يتمثل لكل أوامر الله -ﷻ- وأحكامه التفصيلية، لقد ركزت الآيات المكية على العقائد وأصول العبادات وأصول الأخلاق، فمن امتثل لكل ذلك أعطيت له التفاصيل فيما بعد.

---

(٢٤) الأنعام : ١٥١ - ١٥٣

وهـذا هـو ما سار عليه المنهاج الإلهي في إنزال القرآن على رسول الله-ﷺ-

فلـيس مـن المعقول مثلا أن يتحدث القرآن عن كيفية الصلاة، ومناسـك الحـج، مـع قـوم يحاربون الله ورسوله فى أصول الإيمان والشرائع أصلا.

ثانـياً : أما ما زعموه من أن النبي-ﷺ- قد تأثر بأهل المدينة، وخاصـة أهـل الكـتاب، فهذا القول مردود عليهم بنص القرآن الكريم نفسـه، لقد أفاض القرآن الكريم فى غير ما آية وسورة عن أهل الكتاب وكشـف أسرارهم وفند مزاعمهم وتحداهم فى أكثر من آية وخاصة فيما يتعلق بالتحريف والزيادة والنقصان فيما أنزل على رسل الله.

يقـول-ﷻ- : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٢٥) .

ولـم يكتف القرآن بفضح سرائرهم وبيان ما هم عليه من باطل، بـل اصلح من عقائدهم، وعقائدهم في التشريع وفى الأخبار والقصص، فكيف يصح أن يأخذ المصيب وهو (محمد- عليه الصلاة والسلام-) من المخطـئ (وهـم أهـل الكتاب) ولو أن محمدا أخذ عنهم وتعلم منهم لما أمكن أن يصحح ما أفسدوه، ولو فعل ذلك لقالوا وجاهروا بما اخذ دفاعا عـن أنفسـهم، ولكـنهم أمام هذا التحدى البين لم يفعلوا ذلك بل سكنوا وأظهروا العداء وجاهروا به.

---

(٢٥) الآية : ٧٥ البقرة.

الشبهة الرابعة :

قالوا: أن القسم المكي يكثر فيه القسم بالضحى والتين والشمس والقمر... الخ وفي زعمهم أن هذا جدير بالبيئات المنحطة الشبيهة ببيئة مكة، بخلاف القسم المدنى فقد خلا من القسم بهذه المحسوسات.

وهم في ذلك يقصدون أيضاً أن القرآن الكريم قد تأثر بالبيئة، لأنه من عند محمد ، لا من عند الله- تعالى.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً ﴾.

والرد على هذه الشبهة نقول :

١- أن هؤلاء الجهلة الأغبياء قد جاروا فى حكمهم كل الجور. فمن المعروف تاريخيا أن أهل مكة لم يكونوا في انحطاط عقلي وأدبي كما يزعمون، بل على العكس من ذلك، فالتاريخ يؤكد لنا أن أهل مكة كانوا أرهف شعوراً، وأزكى عقولا من أهل المدينة. بل إن الخطاب معهم يلاحظ فيه أنه قد اشتمل على خصائص وأسرار لا يدركها إلا أصحاب الذوق البلاغي، ولمن تفوق فى صناعة البيان.

٢- من المعلوم لنا: أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وعلى المألوف اللغوي بينهم، ليكون قريبا إلى نفوسهم، ومن أساليب العرب- القسم- لقد كان العرب يقدسونه ويخشون الكذب إذا حلفوا.

ولذلك استعمل القرآن القسم لفوائد وأحكام، منها تأكيد وتثبيت أمر ما كان يكون شيئا مستغربا على أذهانهم أو محتقراً

لديهم، أو ذهلوا عن موضع العبرة فيه، فيقسم الله به، إما لتقرير وجوده في عقل من ينكره، أو لتعظيم شأنه في نفس من يحتقره، أو لتنبيه الشعور إلى ما فيه من حكم وأسرار، أو للكشف عن دلائل وحدانيته وآيات قدرته تعالى.[٢٦]

٣- ليس صحيحاً أن الله أقسم في القسم المكي بالمحسوسات فقط، فكما أقسم بالمحسوسات أقسم أيضا بالمعقولات. قال عز من قائل في صدر سورة "يس": ﴿يس * والْقُرْآنِ الحَكِيمِ﴾، وقال تعالى: ﴿ونَفْسٍ ومَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وتَقْوَاهَا﴾[٢٧].

الشبهة الخامسة :

قالوا: أن القسم المكي افتتحت بعض السور فيه بألفاظ غير واضحة المعنى، مستغلقة على الذهن مثلك (ألم) و (كهيعص)...

ويقولون: أي بيان وأي هدى في هذه الحروف التي جاءت في بعض فواتح السور، فهذه الأحرف في (زعمهم) بعيدة كل البعد عن الهدى، وهذا يتنافى والغرض من نزول القرآن بالهدى والبيان.

وهذه الكلمات ربما قصد بها التعمية أو التهويل، وإظهار القرآن في مظهر عميق مخيف ولعل هذه الألفاظ (بزعمهم) من وضع كتبة الوحي من اليهود تنبيها عن انقطاع كلام واستئناف آخر ومعناها (أوعز إلى محمد) أو (أمرني محمد)، ويزعمون أيضا أنها أحرف وضعها كتاب محمد برأس السورة اختصارا، وذلك على حد ما وضعه كتابة من اليهود

---

(٢٦) تفسير جزء عم صـ ٩ للمرحوم الشيخ محمد عبده.
(٢٧) الآيتان : ٧ ، ٨ الشمس.

(كهـيعص) رأس سورة مريم، اختصارا من قولهم بالعبرانية (كهيعص) أى: هكذا أمر.(٢٨)

ونرد على هذه الشبهة بالآتى:

١- مـا علـم قـط أن رسول الله -ﷺ- قد اتخذ في يوم من الأيام يهـودا لكـتابة وحيه والتاريخ شاهد على ذلك. أن كتبة الوحى كـانوا مـن الصحابة الأجلاء، من المقربين لله ولرسوله، وكل كـتاب الوحـى على وجه الإطلاق كانوا محل ثقة وإخلاص، ما عرف أن أحداً من كتاب وحيه كتب شيئا إلا بأمره وبإذنه.

٢- أمـا زعمهم بأن هذه الألفاظ ليس لها مدلول فهذى دعوى كاذبة ناجمـة عـن حقـد وحسد من أصحابها للقرآن وعلى من أنزل علـيه. فهذه الألفاظ لها مدلول ووراءها حكم وأسرار سواء قلنا بالتأويل أو بالتفويض، وفوائد ذكرها فى فواتح السور لا تحصى مـنها: إقامـة الحجة على إعجاز القرآن الكريم، وبيان أن هذا القرآن مركب من جنس هذه الحروف الهجائية التى يركبون بها كلامهـم، فهـذا بـرهان ساطع على أنه كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ومنها أن هذا كان لحكمة سامية وهو الابتلاء والاختبار ليظهر قوى الإيمـان مـن ضـعيفه، وراسـخ العلم من عدمه ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ

---

(٢٨) مـناهل العـرفان للزرقانـي جـ ١ صـ ٢٢٥ ، ونقـد مطاعـن القـرآن صـ ٨٠ (جرجيس سايل).

تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[٢٩]

٣- أما زعمهم بأن القرآن الكريم ذكر فيه هذه الأحرف للتعمية أو للتهويل أو أنها رموز لمصاحف بعض الصحابة فهذه دعوى دون دليل وبها يسقط الاستدلال، ولا توجد حقيقة ثابتة أوفى من القرآن حفظه الله فى الصدور وفى السطور وتكفل بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٣٠].

وبعد: فهذه الشبهات وغيرها لا تقوم أبدا على أساس سليم، إنما أساسها التعصب البغيض، والحقد الأعمى، وعمى البصيرة، والجهل الفاضح بالقرآن ولغته ومقاصده، وهم يحاولون إطفاء نور الله والله من ورائهم محيط.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٣١].

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[٣٢].

---

(٢٩) الآية : ٧ من سورة آل عمران.
(٣٠) الآية : ٩ من سورة الحجر.
(٣١) الآية : ٨ سورة الصف.
(٣٢) الآية : ٤٦ الحج.

سادسا : أنواع السور المكية والمدنية

إن المتتبع لسور القرآن الكريم يلاحظ أنها على أربعة أنواع:

١ – مكي خالص.

٢ – مدني خالص.

٣ – مكي بعضه مدني.

٤ – مدني بعضه مكي.

أما المكى الخالص فمثاله: سورة اقرأ والمدثر والقيامة.

ومثال المدني الخالص: سورة البقرة وآل عمران.

ومثال المكى الذى بعضه مدني: سورة الإسراء فإنها مكية إلاّ قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾[٣٣] فإنها مدنية، والدليل على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود –رضي الله عنه– قال: بينما أنا والنبي –ﷺ– فى حرث وهو متكئ على عسيب إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رابكم إليه، وقال بعضهم لا يستقبلكم بشئ تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه، عن الروح، فأمسك النبي –ﷺ– فلم يرد عليهم شيئا فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي فلما نزل الوحى قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٣٤] وسؤال اليهود وحوارهم مع النبي معروف أنه كان في المدينة فهذا يثبت مدنية الآية الكريمة.

---

(٣٣) الآية : ٨٥ الإسراء.

(٣٤) صحيح البخاري جـ ٦ صـ ١٠٩ كتاب التفسير (سورة بنى إسرائيل – الاسرائيل).

وأيضا سورة هود: فإنها مكية إلا قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[٣٥] فقد ثبت أنها مدنية.

وأما المدني الذى بعضه مكى فمثاله سورة: الأنفال فهى مدنية إلا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٣٦].

ومثاله أيضاً: سورة براءة فهى مدنية إلا قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾[٣٧].

هذا ولعل اعتماد العلماء فى وصف السورة بكونها مكية أو مدنية إنما يكون تبعا لصدر السورة أو لمعظم آياتها، وقد ورد فى هذا المعنى عن ابن عباس: أنه إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت مكية ثم يزيد الله فيها ما شاء، ويقول البيهقي فى الدلائل فى بعض السور التى نزلت بمكة آيات نزلت بالمدينة فألحقت به.

وقال ابن حجر[٣٨]: (وقد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السور المكية وأما عكس ذلك وهو نزول شئ من سورة بمكة تأخر نزول تلك السورة إلى المدينة فلم أره إلا نادراً، فقد اتفقوا على أن الأنفال مدنية، لكن قيل: أن قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية نزلت بمكة أ.هـ.

---

(٣٥) الآية : ١١٤ من سورة هود.
(٣٦) الآية : ٣٠ من سورة الأنفال.
(٣٧) الآية : ١١٣ من سورة التوبة.
(٣٨) فتح الباري بصحيح البخاري جـ ٩ صـ ٣٣ وما بعدها لابن حجر.

هـذا عـرض موجز للمكي والمدني من القرآن الكريم وما أثير حولهما من شبهات والرد عليها، إحقاقا للحق وإبطالا للباطل.

نسـأل الله تعالى أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا وأنس نفوسنا وشفيعا لنا يوم للقاه.

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم...

أ.د/ البدري عاطف أبو حربه
عميد الكلية
وأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن

المحتويات

- تمهـــــــــــــيد..... ١٧
- أولاً الاصـــطلاحات في المكي والمدني..... ٢١
- ثانـــياً فائدة العلم بالمكي والمدني..... ٢٤
- ثالثاً الطرق الموصلة إلى المكي والمدني..... ٢٦
- رابعاً الضوابط التى يعرف بها المكي والمدني وخواصه..... ٢٨
- خامساً بعض الشبهات التي أثيرت حول القرآن الكريم..... ٣٥
- سادســاً أنواع السور المكية والمدنية..... ٤٧